عن القصد، وعبثت بما رسمت من المبادىء في توجيه سياسة البلاد؟ بل الذي يعيبه كل العيب ألا يفارقها الى من هو أصدق منها في تحقيق كريم الأغراض!

لو أن أولئك الأعيان إنما يتحولون ويضطربون بين الأحزاب المختلفة طوعاً لرأي يحترمهم، أو لعقيدة تدخلها الظروف عليهم، لما استحقوا إلا الحمد والثناء. أما وهم صامدون بآرائهم وعقائدهم لكل حزب يتولى الحكم، فيهرولون لساعتهم اليه، ويعلنون انضواءهم تحت لوائه، ولا يتوانون في كل مناسبة عن الأذان بأنه الحزب الصادق السعي في تحقيق آمال البلاد؛ حتى إذا ما أدال الله منه بالحكم لحزب غيره، سرعان ما ولوا وجوههم شطره فأعلنوا أنهم بعبادته مؤمنون، وأنهم تحت لوائه منضوون، لأنه قد بان لهم أنه الحزب لا حزب غيره، الصادق السعاة في إصلاح الحال، القادر الكفء لتحقيق أعز الآمال!

وهكذا دواليك لا يقعد عن هذا الرقص والحجلان وقار ولا تحشم ولا حياء، حتى أصبحوا على البلاد من أشنع المعرات، وحتى هونوا على غيرهم شأن الكرامة، وأرخصوا في الناس فضيلة الحياء، وأعلنوا أن المبادىء والعقائد مما يباع ويشترى، وأن الأهواء الحزبية مما يؤجر ويكترى، وليس في إطلاق هذا الصنيع على أزلاله إلا إفساد الأخلاق، وتوطيء النفوس لقبول الضعة والهوان.

***

وبعد، فلقد تقتضيني الرأي في علاج هذا الداء، ولعله يتعاظمك هذا العلاج!

اللهم إن علاج هذا الداء في بعض هؤلاء الأعيان، إنما هو في العلاج الذي وضعناه لشأن الموظفين. فانه ما دام الحكم جارية أسبابه على مقتضى النزاهة والعدالة، والحرص على إقامة حدود القوانين، بحيث يصل المرء الى حقه في يسر، وبحيث يحال بين المرء أياً كان وبين أن يبلغ ما لا حق له فيه بحال — لم يبق بأحد حاجة الى اللف والدوران، والرقص والحجلان، والتشكل في مختلف الصور، والتلون بشتى الألوان، فهل نحن فاعلون؟!

عبد العزيز البشري

# سمو الحب

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

صاح المنادي في موسم الحج: «لا يفتي الناسَ إلا عطاءُ ابنُ أبي رباح(1)» وكذلك كان يفعل خلفاءُ بني أمية؛ يأمرون صائحهم في الموسم، أن يدل الناسَ على مفتي مكة وإمامها وعالمها، ليلقوه بمسائلهم في الدين، ثم ليمسكَ غيرُه عن الفتوى، إذ هو الحجة القاطعة لا ينبغي أن يكون معها غيرُها مما يختلف عليها أو يعارضها، وليس للمحتجج إلا أن تظاهرها وتترادف على معناها

وجلس عطاءٌ يتحيَّنُ الصلاةَ في المسجد الحرام، فوقف عليه رجلٌ وقال يا أبا محمد، أنت أفتيتَ كما قال الشاعر:

سَلِ المُفتيَ المكيَّ: هل في تزاوُرٍ
وضمةِ مشتاقِ الفؤادِ جُناحُ؟
فقال: معاذَ اللهِ أن يُذهِبَ التُّقَى
تلاصُقُ أكبادٍ بهنَّ جِراحُ!

فرفع الشيخُ رأسه وقال: والله ما قلتُ شيئاً من هذا، ولكنَّ الشاعر هو نَحَلَني هذا الرأيَ الذي نفثه الشيطان على لسانه؛ وإني لأخاف أن تشيعَ القالةُ في الناس؛ فاذا كان غدٌ وجلستُ في حلقتي فاغدُ عليَّ، فاني قائلٌ شيئاً

وذهب الخبر يؤجُّ كما تؤجُّ النار، وتعالَمَ الناسُ أن عطاء سيتكلم في الحب، وعجبوا كيف يدري الحبَّ أو يحسنُ أن يقول فيه من غَبَرَ عشرين سنةً فراشُه المسجد، وسمع من عائشة أمِّ المؤمنين، وأبي هريرة صاحبِ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وابنِ عباسٍ بحرِ العلم! وقال جماعةٌ منهم: هذا رجلٌ صامتٌ أكثرَ وقته، وما تكلم إلا خُيِّل الى الناس أنه يؤيَّد بمثل الوحي، فكأنما هو نجيٌّ ملائكةٍ يسمع ويقول، فلعلّ

(1) ولد هذا الامام سنة ٢٧ هـ وتوفى سنة ١١٥ قالوا: ومات يوم مات وهو عند الناس أرضى أهل الدنيا

السماءَ مُوحيةً الى الأرض بلسانه وحياً فى هذه الضلالة التى عمّتْ الناس وفَتَنَتْهم بالنساء والغناء.

ولما كان غدٌ جاء الناس أرسالاً الى المسجد، حتى اجتمع منهم الجمعُ الكثير. قال عبد الرحمن بنُ عبد الله بن أبى عمار: وكنتُ رجلاً شاباً من فتيان المدينة، وفى نفسى من الدنيا ومن هوى الشباب، فغدوت مع الناس، وجئت وقد تكلم أبو محمد وأفاض، ولم أكن رأيته من قبلُ، فنظرتُ اليه فاذا هو فى مجلسه كأنه غرابٌ أسود، إذ كان ابنَ أَمَةٍ سوداء تسمى «بَرَكَة» ورأيته أسودَ أعورَ أفطسَ أشلَ أعرج مفلفل الشعر، لا يتأمل المرءُ منه طائلاً، ولكنك تسمعه يتكلم فتظن والله أن هذه قطعةُ ليلٍ تسطع فيها النجوم، وتصعدُ من حولها الملائكة وتنزل

قال: وكان مجلسه فى قصة يوسف عليه السلام، ووافقته وهو يتكلم فى تأويل قوله تعالى: «وراوَدَتْه التى هو فى بيتها عن نَفْسِه، وغَلَّقَت الأبواب وقالت: هَيْتَ لك. قال: مَعاذَ الله، إنه ربىّ أَحْسَنَ مَثْواى، إنه لا يُفْلِحُ الظالمون. ولقد هَمَّتْ به وَهَمَّ بها لولا أَنْ رأى بُرْهَانَ ربّه؛ كذلك لِنَصْرِفَ عنه السوء والفحشاء»

قال عبد الرحمن: فسمعتُ كلاماً قُدْسياً تَضَعُ له الملائكةُ أجنحتَها من رضىً وإعجاب بفقيه الحجاز. حفظتُ منه قوله: عَجَباً للحب! هذه مَلِكَةٌ تعشق فتاها الذى ابتاعه زوجُها بثمنٍ بخس؛ ولكنْ أين مُلْكُها وسطوةُ مُلْكِها فى تصوير الآية الكريمة؟ لم تزد الآيةُ على أن قالت: «وراودته التى» و «التى» هذه كلمةٌ تدلّ على كل امرأةٍ كائنةً مَنْ كانت؛ فلم يبْقَ على الحبّ مُلْكٌ ولا منزلة؛ وزالت المَلِكةُ من الأنثى!

وأعْجَبُ من هذا كلمةُ «راودته» وهى بصيغتها المفردة حكايةٌ طويلة تُشير الى أن هذه المرأة جعلتْ تعترض يوسفَ بألوانٍ من أنوثتها لَوْنٍ بعد لون؛ ذاهبةً الى فنٍ راجعةً من فن؛ لأنها من رَوَدَان الأبل فى مشيتها؛ تذهب وتجىء فى رِفق. وهذا يُصوِّر حَيْرَةَ المرأة العاشقة؛ واضطرابَها فى حبها؛ ومحاولتها أن تنفذ الى غايتها؛ كما يصوِّر كبرياء الأنثى، اذ تختال وتترفق فى عرض ضعفها الطبيعىّ، كأنما هى شىءٌ آخر غيرُ طبيعتها، فمهما تهالكتْ على مَن تحبّ وَجَبَ أن يكون لهذا «الشىء الآخر» مَظهرُ امتناعٍ أو مظهرُ تحيرٍ أو مظهر اضطراب، وان كانت الطبيعة من وراء ذلك مندفعةً ماضيةً مصممة

ثم قال: «عن نفسه» ليدُل على أنها لا تطمع فيه، ولكنْ فى طبيعته البشرية، فهى تَعرِض ما تَعرِض لهذه الطبيعة وحدها، وكأن الآية مصرِّحةٌ فى أدبٍ سامٍ كل السموّ، منزهٍ غاية التنزيه بما معناه: إن المرأة بذلتْ كل ما تستطيع فى إغوائه وتصبّيه، مقبلةً عليه ومتدللة ومتبذلة ومنصبةً من كلّ جهة، بما فى جسمها وجمالها على طبيعته البشرية، وعارضةً كلّ ذلك عَرْض امرأةٍ خلعتْ أوّل ما خلعت أمام عينيه ثوب المُلْك.»

ثم قال: «وغلّقَت الأبواب» ولم يقل «أغلقتْ» وهذا يُشعر أنها لما يئست، ورأت منه محاولة الانصراف، أسرعتْ فى ثورة نفسها مهتاجة تتخيّل القُفل الواحد أقفالا عدّة، وتجرى من بابٍ الى باب، وتضطرب يدُها فى الأغلاق، كأنما تحاول سدّ الأبواب لا إغلاقها فقط

«وقالت هَيْتَ لك» ومعناها فى هذا الموقف أن اليأس قد دفع بهذه المرأة الى آخر حدوده، فانتهت الى حالةٍ من الجنون بفكرتها الشهوانية، ولم تعد لا ملكة ولا امرأة، بل أنوثةً حيوانيةً صِرْفة، متكشفةً مصرحة، كما تكون أنثى الحيوان فى أشد اهتياجها وغليانها!

هذه ثلاثة أطوار يترقى بعضُها من بعض، وفيها طبيعةُ الأنوثة نازلةً من أعلاها إلى أسفلها. فاذا انتهت المرأةُ الى نهايتها ولم يَبْقَ وراء ذلك شىءٌ تستطيعه أو تعرضه بدأت من ثَمّ عظمةُ الرجولة السامية المتمكّنةِ فى معانيها، فقال يوسف: «معاذ الله» ثم قال: «إنه ربى أحْسَنَ مَثْواى» ثم قال: «إنه لا يُفلِحُ الظالمون.» وهذه أسمَى طريقةٍ إلى تنبيه ضمير المرأة فى المرأة؛ إذ كان أساسُ ضميرها فى كل عصر هو اليقينَ بالله، ومعرفةَ الجميل، وكراهةَ الظلم. ولكن هذا التنبيه المترادفَ ثلاثَ مرّات لم يكسر من نَزْوتها، ولم يَفْثأ تلك الحِدّة، فان حبّها كان قد انحصر فى فكرةٍ واحدة اجتمعت

بكلّ أسبابها فى زمنٍ فى مكانٍ فى رَجُل ، فهى فكرةٌ محتبَسة كأن الأبوابَ مغلّقةٌ عليها أيضاً ؛ ولذا بقيتْ المرأة ثائرةً ثورةَ نفسها . وهنا يعود الأدبُ الآلهىّ السامى إلى تعبيره المعجز فيقول : « ولقد همّتْ به » كأنما يُومئ بهذه العبارة إلى أنها ترامتْ عليه ، وتعلّقتْ به ، والتجأت إلى وسيلتها الأخيرة ، وهى لمسُ الطبيعةِ بالطبيعة لألقاء الجمرةِ فى الهشيم . . . !

جاءت العاشقة فى قضيتها ببرهان الشيطان الذى يَقذف به فى آخر محاولته . وهنا يَقع ليوسف عليه السلام برهانُ ربّه كما وقع لها هى برهانُ شيطانها . فلولا برهانُ ربّه لكان همّ بها ، ولكان رجلاً من البَشَر فى ضعفه الطبيعىّ

قال أبو محمد : وههنا ههنا المعجزةُ الكبرى ، لأن الآية الكريمة تريد ألاّ تنفىَ عن يوسف عليه السلام فُحولةَ الرجولة ، حتى لا يُظَنّ به ، ثم هى تريد من ذلك أن يتعلّم الرجالُ ، وخاصة الشبانَ منهم ، كيف يتسامَوْن بهذه الرجولة فوق الشهوات ، حتى فى الحالة التى هى نهاية قدرة الطبيعة ؛ حالة مَلِكة مُطاعة فاتنةٍ عاشقة مختلية متعرّضة متكشّفة متهالكة . هنا لا ينبغى أن ييأس الرجل ، فان الوسيلة التى تجعله لا يرى شيئاً من هذا — هى أن يرى برهان ربّه

وهذا البرهان يُؤوّله كلُّ إنسان بما شاء ، فهو كالمفتاح الذى يوضع فى الأقفال كلّها فيفضّها كلّها ؛ فاذا مثّل الرجل لنفسه فى تلك الساعة أنه هو وهذه المرأة أمام الله يراهما ، وأن أمانىّ القلب التى تهجس فيه ويظنها خافيةً ، إنما هى صوت عالٍ يسمعه اللهُ ؛ وإذا تذكّر أنه سيموت ويُقبَر ، وفكّر فيما يصنع الثرى فى جسمه هذا ، أو فكّر فى موقفه يوم تشهدُ عليه أعضاؤه بما كان يعمل ، أو فكّر فى أن هذا الأثم الذى يقترفه الآن سيكون مَرجِعُه عليه فى أخته أو بنته — إذا فكّر فى هذا ونحوه رأى برهانَ ربّه يُطالعه فجأة ، كما يكون السائر فى الطريق غافلاً مندفعاً إلى هاوية ، ثم ينظر فجأة فيرى برهانَ عينيه ؛ أتروْنه يتردّى فى الهاوية حينئذ ، أم يقف دونها وينجو ؟ أحفظوا هذه الكلمة الواحدة التى فيها أكثر الكلام ، وأكثرُ الموعظة ، وأكثرُ التربية ، والتى هى كالدِّرْع فى المعركة بين الرجل والمرأة والشيطان ، كلمة « رأى برهان ربّه »

قال عبد الرحمن بن عبد الله وهو يتحدث إلى صاحبه سُهَيْل ابن عبد الرحمن : ولزِمتُ الامامَ بعد ذلك ، وأجمعتُ أن أتشبّه به ، وأسلكَ فى طريقه من الزهد والمعرفة ؛ ثم رجعتُ إلى المدينة وقد حفظتُ الرجلَ فى نفسى كما أحفظ الكلام ، وجعلتُ شِعارى فى كل نزعة من نزعات النفس هذه الكلمةَ العظيمة : « رأى برهانَ ربّه » ، فما ألممت بأثم قطّ ، ولا دانيتُ معصية ، ولا رهقنى مطلبٌ من مطالب النفس إلى يوم الناس هذا ، وأرجو أن يعصمني الله فيما بقى . فان هذه الكلمة ليست كلمة ، وإنما هى كأمرٍ من السماء تحمله تمرُّ به آمناً على كل معاصى الأرض فما يعترضك شئٌ منها كأن معك خاتمَ الملك تجوزُ به

قال سهيل : فلهذا لقّبكَ أهل المدينة « بالقَسّ » لعبادتك وزهدك وعزوفك عن النساء ، وقليلٌ لك والله يا أبا عبد الله ، فلو قالوا : ما هذا بشراً إن هذا الا مَلكٌ ، لصدقوا

* * *

قالت سَلاّمة جارية سُهيل بن عبد الرحمن المُغنّيةُ الحاذقة الظريفة ، الجميلةُ الفاتنة ، الشاعرة القارئة ، المؤرخة المتحدثة ، التى لم يجتمع فى امرأة مثلِها حُسنُ وجهها ، وحُسنُ غنائها ، وحُسنُ شِعرها — قالت : واشترانى أمير المؤمنين يزيدُ بن عبد الملك بعشرين ألفَ دينار «عشرة آلاف جنيه» وكان يقول : ما يُقرُّ عيني ما أوتيتُ من الخلافة حتى أشترى سلاّمة ؛ ثم قال حين ملكني : ماشاء بعدُ من أمر الدنيا فليَفُتني ! قالت : فلما عُرضتُ عليه أمرنى أن أغنيه ، وكنت كالمخبولة من حبّ عبد الرحمن القسّ ، حباً أراه فالقاً كبدى ، آتياً على حشاشتى ؛ فذهب عنى والله كلُّ ما أحفظه من أصوات الغناء ، كما يُمسح اللوح بما كُتِب فيه ، وأُنسِيت الخليفةَ وأنا بين يديه ، ولم أرَ الا عبد الرحمن ومجلسه مني يوم سألني أن أغنيه بشعره فىّ ، وقولى له يومئذ : حُباً وكرامةً وعزازةً لوجهك الجميل . وتناولتُ العود وجسسته بقلبي قبل يدى ، وضربتُ عليه كأنى أضرب لعبد الرحمن ، بيدٍ أرى فيها عقلاً يحتال حيلة امرأةٍ عاشقة . ثم اندفعتُ أغني بشعر حبيبي :

إن التى طرقتْكَ بين ركائب    تمشى بمِزْهَرِها وأنتَ حَرامُ

لتَصِيدَ قلبكَ، أو جزاء مودَّةٍ    إن الرفيقَ له عليكَ ذِمامُ
باتتْ تُعَلِّلُنا وتَحْسِبُ أننا    في ذاك أيقاظٌ، ونحن نيامُ

وغنيته والله غناء والهةٍ ذاهبةِ العقل كاسفةِ البال، ورددتُه كما رددتُه لعبد الرحمن، وأنا إذ ذاك بين يديه كالوردة أول ما تتفتح. وأنا أنظر إليه وأتبين لصوتي في مسمعيه صوتاً آخر... وقطعته ذلك التقطيع، ومددتُه ذلك التمديد، وصحت فيه صيحةَ قلبي ونفسي وجوارحي كلها كما غنيت عبد الرحمن، لكنها أؤدي إلى قلبه المعنى الذي في اللفظ، والمعنى الذي في النفس جميعاً، ولكنها أسكره – وهو الزاهد العابد – سكرَ الخمر بشيء غير الخمر!

وما أفقتُ من هذه الغشية إلا حين قطعتُ الصوت، فإذا الخليفة كأنما يسمع من قلبي لا من فمي وقد زلزله الطرب، وما خفيَ عليَّ أنه رجلٌ قد ألمَّ بشأن امرأة، وخشيتُ أن أكون قد افتضحتُ عنده؛ ولكن غلبته شهوته، وكان جَنَدًا عافيه، يريد جداً لما فيه، فمن ثَمَّ لم يُنكر ولم يتغير!

واشتراني وصرتُ إليه، فلما خلونا سألني أن أغني، فلم أشعر إلا وأنا أغنيه بشعر عبد الرحمن:

ألا قُلْ لهذا القلبِ: هل أنتَ مُبْصِرُ
وهل أنتَ عن سلامةَ اليومَ مُقْصِرُ
إذا أخذتْ في الصوتِ كاد جليسُها
يطيرُ إليها قلبُه حين تنظرُ

وأديتُه على ما كان يستحسنه عبدُ الرحمن ويطربُ له، إذ يسمع فيه همساً من بكائي، ولهفةً مما أجده به، وحسرةً على أنه ينسكب في قلبي وهو يَصُدُّ عني ويتحاماني، وما غنيتُ: «وهل أنتَ عن سلامةَ اليومَ مُقْصِرُ» إلا في صوتٍ تنوح به سلامةُ على نفسها وتندب وتتفجّع!

فقال لي يزيد وقد فضحتْ نفسي عنده فضيحةً مكشوفة: يا حبيبتي، مَن قائلُ هذا الشعر؟

قلت: أحدّثك بالقصة يا أمير المؤمنين؟

قال: حدّثيني.

قلت: هو عبد الرحمن بن أبي عمار الذي يلقبونه بالقَسّ لعبادته ونسكه، وهو في المدينة يُشبه عطاءَ بن أبي رباح، وكان صديقاً لمولاي سُهَيْل، فمرَّ بدارنا يوماً وأنا أغني فوقف يسمع، ودخل علينا «الأحوص» فقال: ويحكم! لكأن الملائكة والله تتلو مزاميرها بحَلْق سلامة، فهذا عبد الرحمن القسّ قد شُغل بما يسمع منها، وهو واقفٌ خارجَ الدار. فتسارعَ مولاي فخرج إليه ودعاه إلى أن يدخل فيسمع منّي فأبى! فقال له: أما علمتَ أن عبد الله بن جعفر، وهو مَن هو في محلّه وبيته وعلمه قد مشى إلى جميلة أستاذة سلامة حين علم أنها آلتْ أليَّةً ألا تغني أحداً إلا في منزلها؛ فجاءها فسمع منها، وقد هيأت له مجلسها، وجعلتْ على رءوس جواريها شعوراً مُسْدَلةً كالعناقيد، وألبستهنّ أنواعَ الثياب المصبّغة، ووضعتْ فوق الشعور التيجان، وزينتهنّ بأنواع الحُلِيّ، وقامتْ هي على رأسه، وقام الجواري صفّين بين يديه، حتى أقسم عليها فجلستْ غير بعيد، وأمرتِ الجواري فجلسْن، ومع كلّ جارية عودُها؛ ثم ضربْن جميعاً وغنّتْ عليهنّ، وغنّى الجواري على غنائها، فقال عبد الله، ما ظننتُ أن مثل هذا يكون!

وأنا أُقعِدُكَ في مكانٍ تسمع من سلامة ولا تراها، إن كنتَ بالمنزلة التي لم يبلغْها عبدُ الله بن جعفر!

قالت سلامة: وكانت هذه والله يا أمير المؤمنين – رُقْيةً من رُقَى إبليس؛ فقال عبد الرحمن: أمّا هذا فنعم. ودخل الدار وجلس حيث يسمع، ثم أمرني مولاي فخرجتُ إليه خروجَ القمر مشبوباً من سحابةٍ كانت تغطيه، فما رآني حتى عَلِقتُ بقلبه، وسبّحَ طويلاً طويلاً، وما رأيتُه حتى رأيتُ الجنةَ والملائكة، ومُتُّ عن الدنيا وانتقلتُ إليه وحده...

قالت سلامة: وافتضحتُ مرةً أخرى، فتنحنحَ يزيد... فضحكتُ وقلت: يا أمير المؤمنين، أحدّثك أم حَسْبُك؟ قال: حدّثيني ويحَكِ! فوالله لو كنتِ في الجنة كما أنتِ لأعدتِ قصةَ آدم مع واحدٍ واحدٍ من أهلها حتى يُطردوا جميعاً من حسنها إلى حسنك! فما فعلَ القسُّ ويحك؟

قلتُ: يا أمير المؤمنين، إنه كان يُدعى القسّ قبل أن يهواني

فقال زيد : وهل عجبٌ وقد فتنته أن يعارده «البطريق»

قلت : بل العجبُ وقد فتنته أن يصير هو البطاريق . . . !

فضحك زيد وقال : إيهِ ، ما أحسب الرجلَ إلا قد دُهِيَ منك بداهية ! فحدثيني فقد رفعتُ الغَيْرة ؛ إني والله ما أرى هذا الرجل في أمره وأمرك إلا كالفحل من الأبل ، قد تُرِكَ من الركوب والعمل ، ونُعِّمَ وسُمِّنَ للفِحْلة ، فنَدَّ فذهب على وجهه ، فأَتْهَمَ في مفازة ، وأصاب مرتعا فتوحّشَ واستأسد ، وتبين عليه أثرُ وحشيته ، وأقبل إقبالَ الجنّ من قوة ونشاطٍ وبأس شديد ؛ فلما طال انفراده وتأبّده عَرَضَتْ له في البرّ ناقةٌ كانت قد نَدَّتْ من عَطَنها ، وكانتْ فارهةً جسيمةً قد انتهت سِمَناً وغطاها الشحمُ واللحم ، فرآها البازلُ الصئول فهاج وصال وهدَرَ ، يخبط بيده ورجله ، ويُسْمعُ لجوفه دَوِيٌّ من الغليان ، وإذا هي قد ألقتْ نفسها بين يديه ! أما والله لو جعلَ الشيطانُ في عينه رجلاً خلاً جميلاً ، وفي شماله امرأةً جميلةً تهواه ، ثم تَخطّى متدافعاً ومدّ ذراعيه فابتعدا ، ثم تراجعَ متداخلاً وضم ذراعيه فالتقيا ، لكان هذا شأنَ ما بينك وبين القَسّ !

قلت : لا والله يا أمير المؤمنين ؛ ما كان صاحبي في الرجال خلاً ولا خمراً ، وما كان الفحلَ إلا الناقةُ . . . ! وما أحسب الشيطانَ يعرف هذا الرجل ، وهل كان للشيطان عملٌ مع رجلٍ يقول . إني أعرف دائماً فكرتي ، وهي دائماً فكرتي لا تتغير . ذاك رجل أساسه كما يقول « برهانُ ربه » ولقد تصنّعْتُ له يا أمير المؤمنين ، وتشكّلتُ وتحليتُ وتبرجتُ ، وحدّثتُ نفسي منه بكثير ، وقلت إنه رجل قد غبر شبابه في وجود فارغٍ من المرأة ، ثم وجد المرأة فيّ . وغنّيته يا أمير المؤمنين غناء جوارحي كلها ، وكنت له كأني حريرٌ ناعمٌ يترجرجُ وينشر أمامه ويُطْوَى ، وجلستُ كالناعمة في فراشها وقد خلا المجلس ، وكنتُ من كل ذلك بين يديه كالفاكهة الناضجة الحلوة تقول لمن يراها : « كُلْني . . . ! »

قال زيد : ويحك ويحك ! وبعد هذا ؟

قلت : بعد هذا يا أمير المؤمنين ، وهو يهواني الهوى البَرْحَ ، ويعشقني العشقَ المُضني — لم يرَ في جمالي وفتنتي واستعلائي إلا أن الشيطان قد جاءَ يَرْشوه بالذهب . . . بالذهب الذي يتعامل به !

فضحك زيد وقال : لا والله ، لقد عرضَ الشيطانُ منك ذهبَه ولؤلؤَه وجواهرَه كلَّها ، فكيف لَعَمري لم يُفلح ؛ وهو لو رشاني من هذا كلّه بدرهم لوجد أمير المؤمنين شاهدَ زور ... !

قلت : ولكني لم أيأس يا أمير المؤمنين ، وقد أردتُ أن أُظهر امرأة فلم أفلح ، وعملتُ أن أُظهرَ شيطانةً فانخذلت ، وجهدتُ أن يرى طبيعتي فلم يرَني إلا بغير طبيعة ، وكلما حاولتُ أن أزل به عن سكينته ووقاره رأيتُ في عينيه ما لا يتغير كنور النجم ، وكانت بعضُ نظراته لي والله كأنها عصا المؤدِّب ، وكأنه يرى في جمالي حقيقةً من العبادة ، ويرى في جسمي خُرافة الصنم ، فهو مُقبلٌ على جميلة ، ولكنه مُنصرفٌ عن امرأة

لم أيأس على كلّ ذلك يا أمير المؤمنين ، فإن أوّلَ الحب يطلبُ آخرَه أبدا إلى أن يموت . وكان يُكثِر من زيارتي ، بل كانتْ إليّ الغَدْوةُ والرَّوحة ، من حبه إياي وتعلّقه بي ، فواعدته يوماً أن يجيء متى وارى الليلُ أهلَه لأغنّيه « ألا قل لهذا القلب... » وكنتُ لحّنته ولم يسمعه بعدُ . ولبثت نهاري كلّه أسْتَرْوِح في الهواء رائحةَ هذا الرجل مما أتلهّف عليه ، وأتمثّل ظلامَ الليل كالطريق الممتدّ إلى شيءٍ مخبوء أعلّل النفس به . وبلغتُ ما أقدر عليه في زينة نفسي وإصلاح شأني ، وتشكّلتُ في صنوف من الزهر ، وقلت لأجملهنّ وهي الوردة التي وضعتها بين نهديّ : يا أختي ، اجذبي عينه إليكِ ، حتى إذا وقفَ نظرُه عليكِ فأنزلي به قليلا أو اصعدي به قليلا

قال زيد وهو كالمحموم : ثمّ ثمّ ثمّ ؟

قلت يا أمير المؤمنين : ثم جاء مع الليل ، وإن المجلس لحافلٌ ما فيه غيري وغيره ، بما أُكابدُ منه وما يُعاني مني . فغنيته أحرّ غناء وأشجاه ، وكان العاشق فيه يطرب لصوتي ، ثم يطرب الزاهد فيه من أنه استطاع أن يطرب ، كما يطيش الطفلُ ساعةَ ينطلق من حبس المؤدّب

وما كان يـروّني إلا أنه يمارس فيّ الزهدَ ممارسةً ، كأنما

أنا صعوبةٌ إنسانية فهو يريد أن يغلبها ، وهو يجرّب قوى نفسه وطبيعته عليها ، أو كأنه يرانى خيال امرأة فى مرآة ، لا امرأةً ماثلة له بهواها وشبابها وحسنها وفتنتها ، أو أنا عنده كالحوريّة من حور الجنة فى خيالِ من هى ثوابه ، تكون معه ، وإن بينها وبينه من البعد ما بين الدنيا والآخرة ، فأجمعت أن أحطم المرآة ليرانى أنا نفسى لا خيالى ، واستنجدت كلَّ فتنتى أن تجعله يفرُّ الىّ كلما حاول أن يفرّ منى

فلما ظننتُنى ملأتُ عينيه وأذنيه ونفسه ، وانصببت اليه من كل جوارحه ، وهجتُ التيار الذى فى دمه ودفعتُه دفعاً — قلت له : أنت يا خليلى شىء لا يُعرف ، أنت شىء مُتلفِّفٌ بإنسان ، ومن التى تعشق ثوباً ليس فيه لابسه ؟

ورأيته والله يطوف عنــد ذلك بفكره ، كما أطوف أنا بفكرى حول المعنى الذى أردتُه . فملتُ اليه وقلت(1) : أنا والله أحبك ! »

فقال : « وأنا والله الذى لا إلــه إلا هو »

قلت : وأشتهى أن أعانقك وأقبلك ! »

قال : « وأنا والله ! »

قلت : « فما يمنعُك ؟ فوالله إن الموضع لَخالٍ ! »

قال : يمنعنى قولُ الله عزّ وجلّ : « الأخلاّء يومئذ بعضُهم لبعضٍ عدوٌّ إلا المتقين » . فأكرهُ أن تحوّل مودّتى لك عداوة يوم القيامة »

إنى أرى « برهان ربى » ياحبيبتى ، وهو يمنعنى أن أكون من سيئاتك وأن تكونى من سيئاتى ، ولو أحببت الأنثى لوجدتُك فى كل أنثى ، ولكنى أحب ما فيكِ أنتِ بخاصّتك ، وهو الذى لا أعرفه ولا أنتِ تعرفينه ، هو معناكِ يا سلاّمة لا شخصك

ثم قام وهو يبكى « فما عاد بعد ذلك يا أمير المؤمنين ، ما عاد بعد ذلكَ ، وترك لى ندامتى وكلامَ دموعه ! وليتنى لم أفعل ، فقد رأى أن المرأة تكشف وجهها للرجل أحياناً ، وكأنها لم تُلق حجابها بل ألقَتْ ثيابها ... ... ... ... ... ... ... »

طنطا — مصطفى صادق الرافعى

(1) هنا نص كلامها كما رواه صاحب الأغانى ، وهو كل القصة فى كتابه

# الصراع بين الحبشة
## والاستعمار الغربى

### وهل يبرر الاستعمار غزوها ؟

للأستاذ محمد عبد الله عنان

وقعت أخيراً عدة حوادث ومصادمات خطيرة على حدود الحبشة بين الايطاليين والأحباش ؛ وكان المظنون أن الكدر الذى أصاب العلائق الحبشية الايطالية من جراء حادث الاعتداء على القنصلية الايطالية فى جوندار قد زال بعد اعتذار الحكومة الحبشية وقيامها بالترضية المطلوبة . ولكن حادثاً أشد خطورة وقع منذ أيام قلائل على الحدود الحبشية مما يلى السومال الايطالى ؛ فقد نشبت معركة دموية شديدة بين قوة من الأحباش وقوة من الايطاليين عند مركز اولوال الذى يدعيه كل منهما ، قتل وجرح فيها من الفريقين عدد كبير يقدر بالمئات ؛ وقد وقف القتال على أثر ذلك ، وانسحب الأحباش الى داخل الحدود ، ورفعت الحكومة الحبشية الأمر الى عصبة الأمم ؛ ولكن الجو ما زال كدراً مثقلاً بمختلف الاحتمالات

ومما يلفت النظر بنوع خاص أن يقع هذا التوتر وهذه الحوادث الخطيرة بين الدولتين عقب الزيارة الملكية التى قام بها ملك ايطاليا فى الاريتريا والسومال ، والمظاهرات العسكرية التى نظمتها السلطات الايطالية بهذه المناسبة . ولا ريب أن طواف ملك ايطاليا بالأملاك الايطالية فى افريقية الشرقية لم يكن بقصد النزهة والترويض ، ولكنها زيارة سياسية ظاهرة المغزى ، وطليعة خطة جديدة ترمع ايطاليا الفاشستية انتهاجها فى سياستها الاستعمارية . ومن المعروف أن ايطاليا الفاشستية تعنى عناية شديدة بالتوسع الاستعمارى ، وأنها خطت فى ذلك السبيل خطوات واسعة فى طرابلس ، حيث استطاعت أن تتوغل فى داخلها بعد أن لبثت منذ غزوها تقتصر على احتلال البلاد الساحلية وما يليها الى مسافة قصيرة ، واستطاعت بواسطة انكلترا أن تنتزع واحة جغبوب المصرية وما يليها بمقتضى المعاهدة